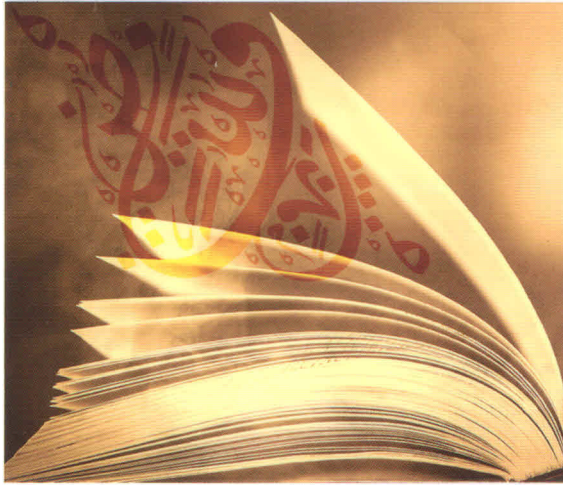


مقالة مصورة : بين الشوق والشوك

سَوَالِحُ

من كتاب :



تَأَلَّفَ
د. مُحَمَّدُ بْنُ إِبرَاهِيمَ الْحَمَدِ



الطبعة الأولى

ح شركة دار الحضارة للنشر والتوزيع، ١٤٤٥هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحمد، محمد بن إبراهيم

سوانح/ محمد بن إبراهيم الحمد- ط١- الرياض ١٤٤٥هـ

٠٠ ص : ٠٠٠٠٠٠ سم

ردمك: ٣-٦٨-٨٤٠٤-٦٠٣-٩٧٨

١٤٤٥/٧٢٥٧

رقم الإيداع

رقم الإيداع: ١٤٤٥/٧٢٥٧

ردمك: ٣-٦٨-٨٤٠٤-٦٠٣-٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م



المملكة العربية السعودية - الرياض

daralhadarah@hotmail.com

الرقم الموحد : 920000908 الفاكس : 2702719 - 011

0551523173 @daralhadarah



زوروا متجر الحضارة

daralhadarah.net

٢- بين الشوق والشوك

يَحْدُثُ كَثِيرًا أَنْ تَلْقَى أَحَدَ أَحْبَبِكَ بَعْدَ طَوِيلِ غِيَابٍ، وَانْقِطَاعٍ؛ فَتَقْبَلُ عَلَيْهِ بِكُلِّ تَدَفُّعٍ وَشَوْقٍ، وَلَهْفَةٍ.

وَبَدَلًا مِنْ أَنْ يَقَابِلَكَ بِمِثْلِ ذَلِكَ تَجِدُهُ يَبَادِرُكَ بِسَبِيلِ مِنَ التَّقْرِيعِ وَاللُّومِ وَالْعِتَابِ عَلَى الْغِيَابِ وَالْانْقِطَاعِ، وَأَنْتِ تَحَاوِلُ أَنْ تَعْتَذِرِي؛ لَكَيْلًا يَفْقِدَ الْلِقَاءَ حَرَارَتَهُ؛ فَيَزِيدُ فِي عَذَلِهِ، وَيَتِمَادِي فِي عِتَابِهِ؛ فَيَنْقَلِبُ ذَلِكَ الشَّوْقُ إِلَى شَوْكٍ تَعَانِي غُصَصِهِ وَنُغْصِهِ. وَالمُصِيبَةُ أَلَّا يَكُونَ لِذَلِكَ الْعَاتِبِ اللَّائِمُ أَيُّ حَقٍّ عَلَيْكَ لَا مِنْ نَاحِيَةِ سَنِهِ، أَوْ قَدْرِهِ، أَوْ عِلْمِهِ، أَوْ فَضْلِهِ عَلَيْكَ.

وَلَوْ أَجَبْتَهُ بِمِثْلِ مَا بَادِرُكَ بِهِ لَكُنْتِ مُحَقًّا.

فَمِثْلُ تِلْكَ الْمَقَابِلَاتِ الْمَوْحِشَةِ تَذْهَبُ بِبَهْجَةِ الْلِقَاءَاتِ، وَتَقْتُلُ أَفْرَاحًا مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تَقْرُبَ الْقُلُوبَ، وَتَغْرِي بِمَزِيدٍ مِنَ الْأَلْفَةِ وَاللِقَاءِ.

وَمَهْمَا يَكُ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ ذَا النَفْسِ الْوَاسِعَةَ، وَالْقَلْبَ الْكَبِيرَ - لَا تَنَالُ مِنْهُ تِلْكَ الْمَقَابِلَاتِ فَتِيلاً وَلَا قَطْمِيرًا.

بَلْ يَقَابِلُهَا بِسَمَاحَةِ نَفْسٍ، وَسَجَاحَةِ خَلْقٍ، وَاتْسَاعِ عَذْرِ؛ فَيَرَى أَنْ ذَلِكَ الْعَاتِبِ الزَّرَارِيِّ مُحِبٌّ مُشْفِقٌ حَرِيصٌ عَلَى الْلِقَاءِ، وَلَكِنْ التَّعْبِيرُ يَخُونُهُ أحيانًا؛ فَيَنْقَلِبُ الْلِقَاءُ حِينئذٍ إِلَى مَوْدَةٍ وَصَفَاءٍ.

وَأَذْكَرُ فِي هَذَا الصَّدْدِ أَنْ شَخْصًا كَانَ يَعْانِي مِنْ بَعْضِ أَوْلَثِكَ مِنْ أَقَارِبِهِ أَوْ غَيْرِهِمْ خُصُوصًا كِبَارِ السِّنِّ، وَرَبْمَا أَقْصَرَ عَنْ زِيَارَتِهِمْ؛ حَذْرًا مِنْ كَثْرَةِ عِتَابِهِمْ؛ إِذْ كَانَ يُوَاجِهُ ذَلِكَ الْعِتَابَ بِمِثْلِهِ، وَأحيانًا كَانَ يَسْكُتُ عَلَى مُضْمَضٍ.

أما أنا فلا يهمني فقد بصري؛ فأنا - والله الحمد - لا يضيق صدري أبداً سواء كنت وحدي، أو مع الناس.»

وشاهد ذلك - أيضاً - أنه كثيراً ما يدخل المستشفى في آخر حياته؛ بسبب بعض الأمراض؛ فلا تراه يتبرم، أو يتضايق من وجوده، أو شعوره ببعض الآلام، بل تراه راضياً مطمئناً حامداً شاكراً مسعداً لمن حوله من مرافقيه وزواره، ولسان حاله كما قال الحكيم العربي:

لست ممن يفقد الأنسَ إذا	أصبح الروض كئيباً أغبراً
لست آسى إن مضى ليلٌ وما	صاحبٌ زار ولا طيفٌ سرى
هو ذا الفكر يناجيني متى	رُمتَ أنساً ضحوة أو سحراً
فليكنْ في الناس بُخلٌ إنني	لستُ ممن يشتكي بُخلَ الورى

وخلاصة القول أن الملل أمر يعترى الناس جميعاً، وهم متفاوتون فيه، وأن قلة الملل من مكارم الأخلاق، ومحاسن الشيم، وأن وقوعه لبعض الناس في بعض الأحوال لا يستغرب، ولا ويذم.

أما المذموم من ذلك فهو الملل المستمر، وأشدّه ما كان مللاً من المحاسن والنعم.

ولكنه مع تقدم سنه ، وطول تجاربه -كما يقول- رأى أن ذلك من الجفاء؛ فصار إذا عوتب على الانقطاع -ولو كان يسيراً- يقابل ذلك بابتسامة ، ولا يدخل في جدال مع معاتبه ، خصوصاً إذا كان قريباً ، أو عزيزاً لديه .
بل يُحسِنُ مداراته ويقول له : حقك كبير ، والتقصير مني وارد ، وأنت أهل للعدر .

يقول : فصار أكثرُ عاذليَّ عاذرين لي ، وأضحوا يقولون : حاشاك التقصير ، بل أنت برٌّ ، واصلٌ ، ونحو ذلك .

بل صاروا يقابلونني بكل ترحاب ، وأقصرَ كثيرٌ منهم عن العتاب .
وهكذا سلم من مشاكستهم ، وملاحاتهم ، وما يترتب على ذلك من تبعات .
وبالجمله فما أجمل ألا تكون كثير العتاب لأحبك ، وأن تكون عاذراً لمن يعاتبك ، مستوعباً له .